

المؤرخون المسيحيون:

لقد نشر جوبلان (بولس نجيم) كتابه في أوروبا باسم مستعار مما سمح بكتابة ما يرغب دون الخوف من ضغوطات خارجية أو محلية سياسية أو طائفية.

فقد أعلن أن العام 1840 هو بداية لحقبة جديدة في تاريخ لبنان إذ بدأ لبنان يتخلص من حكم الامبراطورية العثمانية غير المباشر نحو تحديث في بناء لبنان، في حين وجد المسلمون هذا التغيير في غير مصلحتهم لأنهم يعتبرون أنفسهم أسياد البلاد ولأنهم حسب اعتقاده مدعوون من الله لحكم غيرهم من الشعوب.

فبعد الاحتلال المصري شعر الدروز بالضغط عليهم من المصريين والمسيحيين ومن الأمير بشير الشهابي المنتصر. فكانت أحداث سنة 1840م. ضد الشهابيين وضد المسيحيين، قام الدروز متسلحين بعقدة النقص لديهم وبوحدتهم وتنظيمهم تعويضاً عن عددهم القليل بالمقارنة مع غيرهم من الطوائف فانضوا تحت راية زعمائهم المشايخ أكثر من أي يوم مضى وذلك ليس للثأر فقط ولكن للبقاء أيضاً.

أما الموارد فقد حاربوا خوفاً من عودة الحكم العثماني المباشر عليهم واحتفاظاً بحريتهم وأرضهم وتمسكاً بالحكم المسيحي لبلادهم.

أما لماذا لم يرض المسيحيون بالتنظيمات العثمانية التي نادى بالتحديث والمساواة، فلأن المسلمين ثاروا ضد هذه التنظيمات وتحرك تعصبهم الإسلامي ورفضوا المساواة مع المسيحيين.

يقول جوبلان أنه بعد سنة 1840 كان همّ العثمانيين القضاء على استقلالية لبنان ووحدته فنقلوا مركز الولاية من صيدا إلى بيروت ليسهل على الوالي أمر مراقبة الجبل اللبناني.

وعلى غرار جوبلان كذلك أرّخ الحنّوني والمطران الدبس، وثلاثتهم من مؤرخي حوادث لبنان في القرن التاسع عشر وينتمون إلى الطائفة المارونية.

أما يوسف ابراهيم يزبك فإنه يتهم الاحتلال المصري للبنان عام 1831 بأنه كان وراء الأحداث التي وقعت بين الموارد والدروز.

ويتحدث كمال الصليبي في كتابه "تاريخ لبنان الحديث" عن حوادث 1860م. قائلاً أن قناصل الدول الأوروبية بناء على اقتراح خورشيد باشا وإلى بيروت أخذوا يحثون النصارى على الاعتدال، وكان هؤلاء، من فرط خوفهم، راغبين جداً في الإصغاء إلى هذه المشورة، ولعل خورشيد باشا هو الآخر برّ بوعده، فدعا الدروز إلى التوقف عن الاعتداء، فإذا كان الأمر كذلك، فمن الأكيد أنه لم يتوقف إلى ردهم، إذ تابع الدروز اعتداءاتهم بعد نكبة منطقة بعبداً بأشد مما سبق، منتشين بالانتصارات التي أحرزوها.

فماذا كان وراء إستئساد الدروز آنذاك وما هي الأسباب التي جعلت النصارى عاجزين عن المقاومة؟

كان النصارى أكثر عدداً من الدروز، وكانوا على العموم إنداداً لهم في الشجاعة والإقدام، ولم يجهل الدروز هذه الحقائق، ولعل هذا ما جعلهم يهاجمون قرى النصارى

على حين بغتة، وأحيانا كثيرة بالخدعة، وكانوا يتخوفون من أن يأتي النصارى إمدادات من مناطق الشمال، غير أن النصارى، على الرغم من تفوقهم في العدد وبسالتهم كأفراد، لم يكونوا على شيء من التنظيم الحقيقي ولم يكن عندهم ثقة بزعمائهم الأنانيين، المفتقرين إلى المقدرة والكفاءة، المتخاصمين أبدا فيما بينهم، المستعدين دائما للمساومة على القضايا العامة من أجل نفعهم الخاص، ولم يكن عند النصارى أي ميل إلى الانضباط، وكان كل ذلك من حسن حظ الدروز..."

وهكذا نجد الصليبي، الارثوذكس المولد، البروتستانتى المنشأ والمعتقد، المنتمى إلى منطقة عالية حيث ولد وتعلم، وحيث أهله وأقرباؤه، نجده يلقي سبب خسارة المسيحيين على خوفهم وتفرقهم وتخاصمهم فقط، ولعل في موقفه هذا بعض التقرب من الدروز حيث يسكن هو وأهله. ومع ذلك فإن في كتاباته شيء من العلمية والموضوعية.